العوامل النفسية وتأثيرها على السلوك الإجرامي – تحديات مكافحة الجريمة ذات العامل النفسي -

Psychological factors and their impact on criminal behavior - challenges – of combating Crime with a psychological factor

تاريخ الاستلام : 2021/01/17 ؛ تاريخ القبول : 2021/06/14

ملخص

إن النظريات الاجتماعية تساعدنا على تحديد الجريمة كظاهرة إجتماعية عامة وتحاول أن تبرز بعض الأسباب والدوافع للجريمة، إلا أن علماء الإجرام لا يقفون مجهودهم العلمي عند هذا الحد ، بل يذهبون في تفكيرهم إلى أن الجريمة ذات طبيعة مركبة، لا يمكن أن تتم دراستها والوقوف على أسبابها إلا إذا سلطنا الأضواء على مجامل النفس البشرية الشعورية و اللاشعورية التي تدفع إلى ارتكاب الجرائم ، وأهمية علم النفس الجنائي و الجوانب النفسية للمجرم، وهذه الدراسة ستتم بالإعتماد على المنهج الوصفي و التحليلي و الإستنتاجي ، للإستنتاج بعد التحليل و المناقشة الفوائد النظرية والعلمية لعلم النفس وعلاقته بالجريمة و تأثيرها على السلوك البشري، فان علماء الإجرام وعلماء النفس يتفقون على أن دراسة الجريمة كظاهرة فردية مبنية على هذه الخصائص إنما تتعلق بحالة عدم التوافق الاجتماعي أو بحالة عدم السواء.

الكلمات المفتاحية: علم الإجرام ؛ علم النفس ؛ الجريمة ؛ السلوك الإجرامي ؛ مرض نفسي .

ليلى بن تركي

كلية الحقوق، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر.

Abstract

Social theories help us identify crime as a general social phenomenon and try to highlight some of the causes and motives of crime, but criminologists do not stop their scientific efforts at this point, but rather think that crime is of a complex nature. It can only be studied and its causes can be found if we highlight the human, sensational and non-sensational facets that lead to crimes, the importance of criminal psychology and the psychological aspects of the criminal, and this study will be based on the descriptive, analytical and deductive methods. To conclude after analysis and discussion the theoretical and scientific benefits of psychology, its relationship to crime and its impact on human behavior, criminal scientists and psychologists agree that the study of crime as an individual phenomenon is based on these characteristics, whether it is a state of social incompatibility or a state of inconsistency.

Keywords: Criminology; psychology; crime; criminal behavior; psychological illness.

Résumé

Les théories sociales nous aide à identifier la criminalité comme un phénomène social général et tentent de mettre en évidence certaines des causes et des motifs de la criminalité, mais les criminologues n'arrêtent pas leurs efforts scientifiques à ce stade, mais pense plutôt que la criminalité est de nature complexe. Il ne peut être étudié et ses causes peuvent être trouvées si nous mettons en évidence les facettes humaines, sensationnelles et non-sensationnelles qui conduisent à des crimes, l'importance de la psychologie criminelle et les aspects psychologiques du criminel, et cette étude sera basée sur la description, méthodes analytiques et déductives. Pour conclure après analyse et discussion les avantages théoriques et scientifiques de la psychologie, son rapport à la criminalité et son impact sur le comportement humain, les criminalistes et les psychologues conviennent que l'étude de la criminalité en tant que phénomène individuel est fondée sur ces caractéristiques, qu'il s'agir d'état d'incompatibilité sociale ou d'un état d'incohérence

Mots clés: Criminologie; psychologie; criminalité; comportement criminel; maladie psychologique .

Corresponding author's e-mail: benterkileila@yahoo.fr

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2021.

I – مقدمة

إن ظاهرة الجريمة والمخالفة، تعد من اخطر الظواهر الاجتماعية التي تهدد الكيان البشري في أمنه، واستقراره، بل وحياته.

وانطلاقاً من الخطورة التي تتسم بها هذه الظاهرة تجد علماء القانون، وعلماء النفس يولون هذه الظاهرة اهتماماً منقطع النظير من حيث الدراسة حتى تمخضت هذه الدراسات عن نشوء علم مستقل باسم علم الاجرام (criminologie)، وإن كان هذا العلم (بالمعنى الفني للكلمة علماً حديث النشأة شأنه في ذلك شأن العلوم المتصلة بدراسة الإنسان، التي لم تتطور إلا بتطور المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية والبحث في حقائق الحياة)[i]

إن النظريات النفسية بعلم الإجرام تفرض الاهتمام بالجريمة كظاهرة فردية وتستوجب الفحص العيادي أو الاكلينيكي للمجرم و الكشف الطبي على نفسيته وجسمه وأمراضه العقلية، توصلا إلى تشخيص مصدر الجريمة و الوقوف على أسبابها والقدرة على التنبؤ بمدى احتمال السقوط ثانية في الإجرام، مما يستتبع ذلك رسم خطة علاجية لمجانبة المجتمع ويلات الجريمة ومساوئها . و هذه هي خصائص علم الإجرام الخاص أو العيادي الذي يعتمد على التشخيص والتنبؤ خطة العمل و التقويم، وبالرغم مما يوجد من صعوبات للتفريق بين علم الإجرام والعوامل النفسية كأسباب للجريمة[ii]، فان علم النفس الجنائي استطاع أن ينفذ إلى أغوار النفس البشرية ، ويحدد خصائصها بل ويكشف عن مقوماتها التي تدفع إلى الإجرام. و يمكن أن نقف على العلاقة بين علم النفس بمفهومه العام وبين السلوك الإجرامي كموضوع له انطلاقا من تعريف الأول و تحديد الثاني . فقد ذهب الأستاذ محمد فتحي إلى تعريف علم النفس بأنه: "العلم الذي يبحث في ملكات العقل ومظاهر التفكير و الظواهر النفسية المختلفة، الشعوري منها وغير الشعوري، وجمع وتحصيل ما نحصل عليه من معلومات عنها، سواء عن طريق المشاهدة أو التجربة أو التحليل ، ورد هذه الظواهر إلى قوانين نفسية عامة يمكن استخدامها في الحياة العملية استخداما صالحا موفقا" .

و ما يلفت النظر في هذا التعريف هو انه تعرض، بالإضافة إلى مواضيع علم النفس المعروفة، إلى أدوات البحث العلمي وهي المشاهدة و التجربة و التحليل . وهذه المصادر، وما تمثله من تفرعات وتخصصات في هذا الميدان، كتداعي الأفكار الذي يحصل من المشاهدة ، و تحديد الظواهر النفسية و ضبط قوانينها عن طريق علم النفس التجريبي ومنه علم النفس الجنائي الذي يحصل من التجربة ، و التعرض إلى دراسة الظواهر الفكرية اللاشعورية أو مركبات النفس الدفينة التي لا علاقة لها بالتحليل . فعلم النفس إذن ، لم يعد علما فلسفيا أو نظريا محضا ، بل اصبح علما قائما على أدوات البحث العلمي ومفاهيم إجرائية لا تقل قيمتها عن تلك التي تستعمل في سائر العلوم الطبيعية الأخرى . والمجرم يتأثر بعوامل إجرامية مختلفة تدفعه إلى إرتكاب الجرائم والمعاصي ، وهذه العوامل لها دور كبير في خلق الظاهرة الإجرامية ، ومع كثرتها فإن كل عامل منها سواء كان عنصرا في الشخصية الإنسانية (عضويا أو نفسيا) أو كان ظرفا أو خاصية خارجة عن الإنسان (سببا إجتماعيا) وقد حضي بعناية علماء الإجرام في البحث عن مدى أهميته وعن حدود الدور الذي يلعبه في

تحديد السلوك الإجرامي للأفراد ، كما أن هذه العوامل على كثرتها يمكن ردها إلى طائفتين رئيسيتين :

الأولى: هي العوامل الفردية (الداخلية التي تقوم في شخص المجرم).

الثانية : هي العوامل الإجتماعية (الخارجية) التي ترجع إلى البيئة المحيطة بالمجرم .

إن العوامل الرامية الفردية أو الداخلية هي التي تهمنا في مجال دراستنا ، وهي تلك الأسباب التي تدفع شخصا بذاته إلى إرتكاب جريمة معينة ويعنى بدراسة هذه الأسباب علم الأنتروبولوجيا الجنائي (علم طبائع المجرم) ، ويلجأ الباحث في هذا الفرع من علم الإجرام إلى إحدى الوسيلتين :

الأولى: دراسة المجرم من الناحية العضوية أي دراسة أشكال أعضائه الخارجية و إطراد أجهزته الداخلية وإفرازات الغدد لديه.

الثانية : دراسة المجرم من الناحية النفسية أي البحث في غرائزه وميوله وعواطفه ومدى قابليته للإثارة (انفعالاته) ودرجة ذكاءه وغير ذلك وهي مجال دراستنا في بحثنا هذا ، غير أن العوامل الفردية قد تكون أصلية أو مكتسبة إلا أن العوامل الفردية الأصلية هي مجموعة من الصفات والخصائص الثابتة في الإنسان أصلا والقائمة في شخصيته منذ ولادته ومن أهم هذه العوامل : الأمراض العقلية والنفسية إذ تعتبر هذه الأمراض من أهم العوامل الأصلية في الفرد التي تأثر وبصفة فعالة في إرتكاب الجرائم لدى لمصابين بها كل حسب مرضه .

ونظرا لأهمية الأمراض والنفسية من حيث تأثيرها على السلوك الإجرامي ،يتبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي :

ما مدى تأثير العاهات النفسية على السلوك المنحرف المكون للجريمة ؟

و للإجابة على هذا التساؤل ، سنتناول وبإسهاب دقيق تأثير العاهات النفسية على السلوك المنحرف.

<u>الفقرة الأولى:</u> التكوين النفسي

إن الدراسات النفسية لها أهمية كبيرة ليس فقط في مجال تفسير السلوك ، الإجرامي وإنما في تفسير السلوك الإنساني بصفة عامة ، وتسعى الدراسات النفسية أو علم النفس إلى تفسير التصرفات الخارجية للإنسان في علاقاته الخارجية مع الغير (سلوكه الظاهري) على ضوء مختلف جوانب تكوينه النفسي (مسلكه النفسي الباطني) إن جاز التعبير . ويقصد بالتكوين النفسي مجموعة العوامل الداخلية التي تؤثر في تكيف الشخص بالنسبة للبيئة الخارجية ، وهذه العوامل متعددة ومتداخلة بعضها بالبعض الآخر ، ومنها جميعا يخرج التصرف الفردي التي تنعكس فيه الحياة النفسية بجميع جوانبها ، والتفسيرات النفسية تختلف من باحث إلى آخر غير أنه ثمة إتفاق على أن مدرسة التحليل النفسي التي أسسها سيجموند فرويد وهذه المدرسة تعطي للظاهرة الإجرامية تفسيرات محض نفسية شخصية ذات صلة وثيقة بصور الشذوذ العقلي والنفسي [iii].

ويشير الباحثون على أن هناك عدة معايير للصحة النفسية أهمها :

- الخلو من مظاهر القلق والصراع الداخلي الذي يقلل من كفاءة الجهاز النفسي للإنسان ، وبالتالي يقلل من كفاء[iv]ته من حيث الإنتاج أو التعامل مع الآخرين .
- القدرة على العمل والإقدام عليه والإستقرار فيه وحبه وأدائه بكفاءة .

- عدم التردد والقدرة على إتخاذ القرار والبت في الأمور بالسرعة الواجبة .

- التوافق في الحياة الزوجية والأسرية والرغبة الطبيعية في إنجاب الأبناء ورعايتهم وتربيتهم .

- القدرة على تفهم حاجات الآخرين من أعضاء الجماعة أو الجماعات التي ينتمي إليها وفهم إنفعالاتهم وآرائهم والاستجابة لها بطريقة متوافقة سوية مناسبة .

- عدم معاناة الفرد من أمراض جسمية أو تشوهات خلقية تفقده توازنه أو تفقده الشعور بالسعادة وتقلل من كفاءته .

- أن يكون الإنسان قادرا على إستغلال إمكانيته وإمكانية بيئته إستغلالا صحيا و إيجابيا وأن يتوافق سويا مع مجتمعه[٧] .

ويشمل التكوين النفسي جانبين : الجانب الغريزي والجانب العاطفي وكل جانب سندرسه فيما يلي :

أولا: الجانب الغريزي : الغرائز هي مجموعة من الميول الفطرية الكامنة في كل نفس ، وهي تدفع الإنسان إلى إنتهاج سلوك معين .

1- أنواع الغرائز : وللغرائز هذه أنواع : يقسم علماء النفس الغرائز إلى قسمين : غرائز نفسية ، وغرائز حيوية .

أ) الغرائز النفسية : هي التي تتجه إتجاها واعيا يرمي إلى هدف معين غالبا ما يكون معنويا ، ومن أمثلة هذه الغرائز غريزة حب السيطرة وإنفعالها الزهو ، وغريزة حب الإستطلاع وإنفعالها التعجب .

ب) الغرائز الحيوية : هي التي تتجه إتجاها غير واع ، وتتركز في غريزتي حفظا للذات وحفظ النوع ، وتندرج تحت غريزة التملك وإنفعالها حب التملك ، وغريزة الطعام وإنفعالها الجوع ، وغريزة الهرب وإنفعالها الخوف ، وغريزة المقاتلة وإنفعالها الغضب ، أما غريزة حفظ النوع فهي تتمثل في الغريزة الجنسية ويندرج تحتها غريزة التناسل وإنفعالها الميل الجنسي وغريزة الأبوة والأمومة وإنفعالهما الحنان .

أما عن صلة الغرائز بالسلوك الإجرامي ، فلهذه الغرائز تأثيرا كبيرا على الإنسان ، فهي تمثل الدوافع للإنتهاج سلوك معين ، وموقف الإنسان من هذه الدوافع لا يخرج عن حالتين لا ثالث لهما :

الحالة الأولى : أن يسيطر على غرائزه ويتحكم ولو بصعوبة في إتجاهها ، فلا ينفذ من السلوك الذي تدفعه إليه إلا ما كان متفقا مع القانون ، وهو بذلك يتجنب الإنزلاق إلى هوة الجريمة .

الحالة الثانية : أن يترك لغرائزه العنان فيستجيب لندائها الفطري البدائي وينفذ السلوك الذي تدفعه إليه، وقد تعتبر هذا السلوك دون طابع إجرامي في غالب الأحوال .

من هذا كله يتبين لنا جليا أن الغرائز هي أساس الشخصية الإنسانية وهي التي تتسبب في سلوك الفرد أيا كانت صورته، ولهذا فأي إضطراب أو خلل فيها يؤدي إلى القيام بالسلوك ، ولشذوذ الغرائز عدة صور أهمها إزدياد قوتها عن الحد العادي أو ضعفها عن ذلك الحد ، أو إنحرافها عن الإتجاه الطبيعي .

والملاحظ أن الغرائز النفسية يندر أن تكون مصدر للسلوك الإجرامي بالنظر إلى إتجاهها الواعي ، بل أنها تتسامى فتكون غالبا مصدرا لسلوك نافع للمجتمع وبهذا

نلاحظ أن الغرائز الحيوية هي التي يؤدي شذوذها أحيانا إلى السلوك الإجرامي .

2- أما عن أهم الجرائم الناجمة عن الشذوذ الغريزي : قد يؤدي الخلل و الإضطرابات التي تتسم به أحيانا بعض الغرائز إلى أن يرتكب بعض الجرائم مثل جرائم الإعتداء على المال ، وجرائم الإعتداء على العرض و جرائم الإعتداء على الأشخاص أو التحريض عليها .

أ- جرائم الإعتداء على المال : كثيرا ما يؤدي الشذوذ في غريزتي حب الذات وحفظ النوع إلى إرتكاب جرائم الإعتداء على المال لا سيما السرقة ، فنعرف أن الغرائز الفرعية لغريزة حب الذات غريزة الطعام . وإنفعالها بطبيعة الحال الجوع ، وقد يدفع الأشخاص الذين تشد لديهم هذه الغريزة من حيث قوتها إلى سرقة المأكولات أو بعض النقود لإشباع هذه الغريزة ، وقد يظهر هذا حليا خاصة لدى الأشخاص المدمنين على المخدرات ، وهذا الإدمان يضطر هم إلى سرقة الأموال لإقتناء المخدرات التي يحتاجها جسمهم .

كذلك قد ينحرف إتجاه هذه الغريزة عن الطريق الطبيعي ، فبد لا من السعي للحصول على أسياد تحقق لهم الصحة والبقاء ، يسعون على الحصول على أشياء لا ضرورة لها التحقيق هذا الهدف وهم يلجؤون أحيانا في سبيل ذلك إلى إرتكاب السرقات وهنا هذه السرقات تقع من أشخاص لديهم قدراتهم المالية التي يحصلوا على الأشياء المسروقة بطريق مشروع ويؤدي الشذوذ في إتجاه غريزة حفظ النوع إلى الغريزة الجنسية أحيانا إلى إرتكاب جريمة السرقة ، حينما ينحرف الميل الجنسي عن الإتجاه إلى شخص من الجنس الآخر فيتجه إلى أشياء معينة تتعلق بهذا الشخص فيقدم على سرقتها .

ب- جرائم الإعتداء على الأشخاص: يعني هذا النوع من الجرائم وقوع فعل من الجرائم إعتداء على حق المجني عليه في حياته كما في جريمة القتل أو على سلامة جسمه كما في جريمة الضرب والجرح أو إعطاء المواد الضارة .

ويؤدي الشذوذ في طريقة التعبير عن الغريزة الجنسية أو ضعفها لإشباعها عن طريق أفعال من الإعتداء توقع على الطرف الآخر قد يمثل ضربا أو جرحا أو قتلا وهذا ما يعرف بإسم السادية [vi] .

يضاف إلى ذلك أن الشذوذ في الغريزة الجنيسية قد يفسر بعض أنواع من الإعتداء على الأشخاص دون أن تبدو الصلة واضحة بينه وبين هذه الغريزة ، ولكنها في الواقع هي الدافعة إليه مثل : إرتكاب أفعال الضرب على الأطفال إستنادا إلى حجة تأديبهم.

وفي الأخير إن حالة السادية توجد لدى الرجال والنساء على السواء لكنها تكون غالبة عند الرجال .

أما عن التحريض على إرتكاب جرائم الأشخاص ، يقابل السادية حالة تسمى بالماسوكية ، وهي تتمثل في السعي إلى الحصول على الإرتياح عن طريق تحمل العذاب الناجم عن أفعال قسوة ينزلها به شخص معين ، ويقف شذوذ الغريزة الجنسية وراء الشعور بإستعذاب القسوة ، ولا يرتكب الشخص المصاب ، بالماسوكية جريمة إلا إذا قام بتحريض الشخص الآخر على توقيع افعال العنف عليه ، وكان الرضاء بتحمل هذه الأفعال لا تعتبر سببا لإباحتها ، غير أن الماسوكية تصيب النساء أكثر مما تصيب الرجال [vii].

وأما عن جرائم الإعتداء على العرض ، وهذا النوع من الجرائم قد يقع من أفراد تكون غريزة حفظ النوع أو الغريزة الجنسية لديهم شاذة من حيث إتجاهها ، من أمثلة لك أن يميل الشخص إلى شخص من مس جنسه وهذا ما يسمى بالمثلية الجنسية أو

يرتكب أفعالا مخلة بالحياء يوقعها على أطفال من جنس آخر أو من جنسين ، أو أن يشبع غريزته من شخص المحارم .

3- تحديد نطاق الصلة بين الشذوذ الغريزي والجريمة : يجب أن لا يغيب أن الصلة بين الشذوذ الغريزي والجريمة ليست صلة حتمية ، ولكنها ذات صلة إحتمالية ويقتصر نطاقها على الحالة التي يكون فيها الشذوذ أو الإضطراب الغريزي هو الدافع لإرتكاب الجريمة ، ومن ناحية فإنه قد يتحقق لدى شخص ما شذوذ غريزي دون أن يؤدي لك إلى إرتكاب أية جريمة ، ويحدث ذلك عندما الشخص قوي الإرادة يستطيع أن يسيطر على سلوكه دون أن يستجيب لنداء الغريزة المنحرفة ، كذلك قد يرتكب الشخص إحدى هذه الجرائم دون أن يكون لديه أي شذوذ في الغريزة الجنسية ، مثال ذلك ما يرتكبه بعض الأحداث من جرائم هتك العرض بالقوة أو جرائم المثلية الجنسية بدافع حب إستطلاع لكوامن الغريزة حديثة العهد بالنضوج وليس بدافع شذوذ يعتريها [viii]

وكخلاصة إن الغرائز بصفة عامة لها تأثيرها الكبير في تكوين الشخصية والتأثير على كثير من التصرفات والسلوك الخارجي للشخص ، فإن أي إضطرابات تصيبها لا شك وأنها ستؤثر على أفعال الإنسان وتصرفاته .

ولعل أهم الإضطرابات الغريزية التي لها إرتباط وثيق بعلم الإجرام وقانون العقوبات هي تلك التي تتعلق بالغريزة الجنسية ، إن إنحراف هذه يؤدي إلى القيام بسلوكات معاقب عليها في نصوص التجريم ، كما يمكن تفسير هذه التصرفات بحدوث الإضطرابات الجنسية ، وأهم الإضطرابات الجنسية هي ثلاثة :

أ) – إضطراب يؤثر على درجة الغريزة وقوتها واهم مظاهره الهياج الجنسي .

ب) – إضطراب يؤثر على صورة التصرف الغريزي .

ج) – إضطراب يؤثر على إتجاه الغريزة [ix] .

ثانيا: الجانب العاطفي : يقصد بالجانب العاطفي ذلك الجانب من النفس البشرية الذي يشمل مدى الإنفعال ومقدار القدرة على الإحتمال ، وهذا الجانب قد يشوبه الخلل أو الإضطراب الذي يترتب عليه بعض العقد النفسية ويسمى هذا الشذوذ في الشخصية بالسيكوباتية .

1- الشخصية السيكوباتية : لا زالت بعض العلوم المعاصرة ، وبوجه خاص تلك العلوم الإنسانية التي تعالج السلوك الإنساني ، تعاني مشكلة إيجاد التعريفات الكاملة لأكثر مفاهيمها النظرية ، وربما يعتبر مصطلح السيكوبات أو الشخصية السيكوباتية من أكثر المفاهيم العلمية غموضا ، إذ هي لا زالت حتى الآن تجابه مل الباحثين في علم الإجرام ، وقد ترجع هذه الصعوبة إلى عدم وجود أعراض ثابتة للشخصية السيكوباتية ، وهذا ظل مفهوم السيكوبات من المفاهيم اللغوية التي يحلو للعلماء إستخدامه ، كلما عجزوا على تصنيف بعض السمات والأعراض التي لا تدخل أعراض بعض الأمراض العقلية أو العصابية المعروفة ، ولهذا نجد اليوم أن مصطلح السيكوبات يطلق على كل شخص يعني إضطرابا في الشخصية ، ولكنه غير مصاب بذهان أو عصاب معروف .

وهكذا ظل هذا المفهوم يفتقر إلى الدقة العلمية المطلوبة ، حيث بدو لها لا يصح إستخدامه كمعيار باثولوجي لتشخيص أعراض شخصية معينة ، ورغم كل هذه العقبات فقد ظل مفهوم السيكوبات يستخدم على نطاق اسع حتى يومنا هذا ، فهو اليوم شائع الإستعمال بين علماء النفس ، وبين أطباء الأمراض العقلية ، وبين علماء

الجريمة وفي مجال تصنيف المجرمين في بعض المؤسسات الإصلاحية .

لقد ذكر الأستاذ الأمريكي كاسون أن202 مصطلحا يستخدم اليوم للدلالة على معنى السيكوبات أو الشخصية السيكوباتية ، كما وذكر أن ما يزيد 55 سمة تستعمل اليوم لتشخيص أعراض الشخصية السيكوباتية لأعراض مختلفة .

ولعل الكثير من العلماء يتفقون على أن السيكوباتية حالة مرضية شاذة ، قد تبدو بشكل سلوك إندفاعي غير مقبول إجتماعيا ومع هذا فهي لا تشكل لا ذهان ولا عصابا ولا مرضا عصبيا سايكوسوماتيا ، ويرى البعض من الفقهاء أن السلوك السيكوباتي قد يتخذ شكلا بسيطا لا يتجاوز حالة الكذب المتسمر ، أو حالة حب مشاكسة أو إثارة المتاعب للآخرين ، أو العجز المتواصل عن عقد صداقات وعلاقات إجتماعية سليمة أو الفشل التكرر في الإحتفاظ بمهنة واحدة ، أو الفشل المتواصل في الزواج .

كما قد يتخذ السلوك السيكوباتي شكلا أشد خطورة ، حيث يتجه السيكوبات إلى الإختلاس ، أو التزوير ، أو النصب أو الإحتيال أو إلى الإعتداءات الجنسية أو إلى إدمان المسكرات أو المقامرة ، أو ممارسة البغاء بالنسبة للنساء ، وقد تصل الحالة بالسيكوبات إلى إرتكاب جريمة القتل أحيانا ، ولعل هذه الحالة التي تدعم المعنى التقليدي لمفهوم السيكوبات والذي يوصف بالجنون الأخلاقي أو البلاهة الأخلاقية ، إلا مثل هذه الصفات لا يعتبرها الطب الحديث ذلك أن السيكوبات ليس شخصا مجنونا أو متخلفا في عقله أو أبلها ، ولكن قد يتميز بإنعدام الواعز الأخلاقي أو فقدان الحساسية الأخلاقية ، وهذا يرجع إلى عدم قدرته على التميز بين ما هو مقبول إجتماعيا وبين كل ما هو خطأ لا يقره المجتمع الذي يعيش فيه .

ومع ذلك فقد حدد العلماء قائمة بمجموعة من السمات والصفات التي يشيع وجودها بين الأشخاص السيكوبات، وتضم هذه المجموعة صفة الأنانية المفرطة والتركيز الكبير حول الذات ، وصفة اللامبالاة بالمجتمع ومتطلباته ، وعدم الشعور بالمسؤولية الإجتماعية ، وعدم مراعاة شعور الآخرين ، وعدم الإعتراف بحقوق الآخرين وحاجاتهم ، والفشل التكرر في تحقيق التوافق الإجتماعي السليم وعدم الإستقرار العاطفي ، وروح التشرد ، وفقدان الرغبة في الإفادة من تجارب الحياة السابقة والتهور الشديد، والعجز عن ضبط النفس أو غيرها من السمات الأخرى .

وقد قام علماء بتصنيف الشخصية السيكوباتية ووضعها ضمن مجموعة ذات سمات عامة مشتركة ، ومن هذه التصنيفات المعاصرة ما يعرف بالشخصية السيكوباتية الشيزوفيرينية ، والشخصية السيكوباتية البارانوية ، والشخصية السيكوباتية ، وهناك ما يضعها في مجموعتين أساسيتين هما الشخصية السيكوباتية الأولية ، والشخصية السيكوباتية الثانوية .

الشخصية الأولى هي التي لا ترجع في أسبابها إلى عوامل أو أسباب نفسية ويرى بعض أطباء الأمراض العقلية أن السيكوبات يكون على ثلاثة أنواع : أولهما السيكوباتية الأنانية ، وهي التي تتركز حول الذات ، والسيكوباتية اللامنتمية وفيها يعجز السيكوبات عن الإنتماء الإجتماعي أو تحقيق الإنسجام الإجتماعي المطلوب، وأخير السيكوباتية المتشردة أو السيكوباتية الهائمة ، التي لا تربط بمفهوم بيت أو عائلة أو عمل معين مستقر .

وهناك تصنيفات أخرى قد تكون أكثر دقة وتفصيل ، كتصنيف الشخصية السيكوباتية إلى شخصية الشيروفيرينية ، والشخصية البارانوية ، والشخصية ذات المزاج الدوري المتقلب ، والشخصية الجنسية ، والشخصية السيكوباتية الكحولية ، وأخيرا الشخصية السيكوباتية المتصلة بإدمان العقاقير المخذرة .

ولعل من أبرز الصعوبات التي تعترض موضوع البحث الشخصية السيكوباتية هي عجز العلماء عن تشخيص السبب الرئيسي لنشوء السلوك السيكوباتي أو تحديد كيفية تكوينه وتطوره ، فمن العلماء من يرد السيكوباتية إلى عوامل طبيعية وراثية ، وحجة هذا الفريق هو إمكانية تشخيص سوء التوافق الإجتماعي لدى الشخص السيكوبات منذ مرحلة مبكرة جدا تكاد تلازم شخصية جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أسرة واحدة ،وهذا لا شك يحول دون إمكانية تقويمهم أو علاجهم ، ويبدو أن مثل هذه الفرضيات البيولوجية لا يمكن أن تستقيم مع الرأي السائد لدى مدرسة التحليل النفسي التي ترى أن السيكوباتية مجرد ظاهرة سلوكية ، تنشأ من عدم نضج الأنا العليا بصورة صحيحة ، وهي ترجع في تكوينها إلى محاولة الفرد لعقاب نفسه ، ذلك أن الأزمات النفسية التي يتعرض لها بعض الأفراد قد تؤدي إلى صراعات لا شعورية ، وهذه بدورها قد تدع البعض إلى إلتماس بعض أنواع السلوك العصابي الشاذ ، كمحاولات تعويضية يراد بها حل الأزمة ولكن الشخص العصابي قد يرضي نفسه بمثل هذا الإرضاء التعويض المرضي بينما لا يقف السيكوبات إلا عند الإرضاء الحقيقي .

2- صلة السيكوباتية بالإجرام المعتاد : غالبا ما يؤكد بعض العلماء هذا إذ يقررون أن عدد كبير من هؤلاء المجرمين المعتادين هم أشخاص سيكوبات، وقد يجد البعض الآخر علاقة بين الشخصية السيكوباتية الشيزوفرينية وبين جرائم القتل أو بين الشخصية السيكوباتية البارانوية وبين جرائم التهديد ، وقد زاد إهتمام المسؤولين بالجرائم الجنسية التي ترتكب بشكل إعتداءات فاضحة ، حتى أن الولايات المتحدة الأمريكية شرعت بعض القوانين التي تعاقب على تدعوه بالسيكوبات الجنسي ، وذلك في محاولة الحد من الجرائم الجنسية .

ومن الدراسات الخاصة بالسيكوباتية تلك التي قام بها العالمان (كاسون) و (بيسكور) التي تناولت مقارنة 500 سجين سيكوبات بعدد كبير من السجناء الأسوياء في بعض السجون المركزية الأمريكية ، لقد وجد هذان العالمان أن ظاهرة السيكوباتية تكاد ترافق ربيع العمر ،و أن المجرم السيكوبات ينقطع عن مواصلة لدى بلوغه الثلاثين من العمر ، بينما يبلغ أوج إجرامه بين العشرين والتاسعة والعشرين ، كما ويؤيد الثلاثين من العمر ، هذا الرأي أن غالبية أطباء الأمراض العقلية يبحثون اليوم عن أعراض السيكوباتية بين من لا تتجاوز أعمارهم عقدها الثالث ، ومع هذا فليس لدينا من الدليل العلمي ما يؤكد صحة هذه الفرضيات بوجه علمي قاطع .

وقد إستخدم مفهوم السيكوبات في تصنيف السجناء دونما قواعد معياره ثابتة ، ولهذا نجد بين أطباء الأمراض العقلية من يقرر أن 98% من مجموع السجناء الذين قام بفحصهم في إحدى سجون ولاية الينوى الأمريكية ، هم من السيكوبات ، هذا في الوقت الذي يقرر أطباء آخرون أن نسبة السيكوبات في سجون مشابهة لا تزيد عن 5 % من مجموعة السجناء .

وفي إحدى الدراسات العلمية التي قام بها كاسون لبحث العلاقة بين السيكوباتية والجريمة ، لم يجد هذا العالم اية صلة تذكر بين الإثنين ، وتقوم دراسته على مقارنة مجموعتين من السجناء ، أحدهما تتميز بأكبر قدر ممكن من مظاهر السلوك السيكوباتي ، بينما تفتقر المجموعة الأخرى إلى مظاهر مثل هذا السلوك ، وبعد توزيع ما مجموعة 55 سمة من السمات السيكوباتية على هاتين المجموعتين ، لم يجد كاسون أية أهمية لنسبة توزيع مثل هذه السمات على المجموعتين ، وهذا يظهر عدم أهمية هذه السمات السيكوباتية ، كمعيار علمي للتميز بين المجرمين وغير المجرمين ، ومع كل هذا فقد شاع مفهوم السيكوبات اليوم على نطاق واسع جدا بين علماء النفس والاجتماع وأطباء النفس والعقل ،وعلماء الجريمة دونما تحديد علمي لطبيعته ، ودونما تشخيص

دقيق لأعراضه ، ودونما تفسير سببي لتكوين السلوك السيكوباتي وطرق علاجه .

كخلاصة فإن السيكوباتية كما سبق القول تعني إضطرابا يعتري الشخصية الإنسانية دون أن يصل إلى درجة المرض العقلي أو النفسي، ومع هذا فهو يجعل الشخص غير مهتم بالقيود الإجتماعية أو القانونية ، ويسهل له الإقدام في جرأة وعدم مبالاة على إرتكاب الجريمة ، والسيكوباتية عيب تكويني أي أنها عيب يولد مع الشخص ويلازمه طوال حياته[x] ، لذلك فإن إقدام الشخص السيكوباتي على الجريمة مرة لا يحول أبدا بينه وبين العودة إليه مرة ومرات ، لأن الدافع على الإجرام هو شذوذ الشخصية مستمر وملازم له ، ويباشر دائما نشاطه الدافع إلى الجريمة عليه ، وهذا ما يفسر حقيقة مسلما وهي أن أكثر المعتادين على الإجرام من المجرمين السيكوباتيين .

3- أهم أنواع السيكوباتيين : يمكن ذكر اهم انواع السيكوباتيين في :

أ- ضعاف الإرادة : تتميز هذه الفئة من المجرمين بضعف الإرادة ، وسرعة الإستجابة للغرائز والمؤثرات الخارجية ، وسهولة الإنقياد إلى الغير ، ولذلك نجد أكثر ضعاف الإرادة لا يقومون بإرتكاب الفعل الأصلي المكون للجريمة وإنما يقتصرون على مجرد المساهمة التبعية أي الإشتراك فيها ، وعن طريق المساعدة بصفة خاصة ، وتتمثل هذه الطائفة نسبة كبيرة من السيكوباتيين بين المجرمين ، وقد دلت بعض الإحصاءات الجنائية على أن هذه الطائفة تمثل 60 % من المجرمين ، بينما ضعاف الإرادة من غير المجرمين 36% من الأفراد العادين .

ب - متبلدو العواطف : يتميز هذا النوع من السيكوباتيين بالقسوة ، وجمود المشاعر وتبلد العواطف ، فهم لا يتجاوبون مع الناس و لا تربطهم بهم أي مشاركة وجدانية ، وإنما يتصفون بالأنانية ، ويستجيبون لنداء غرائزهم ، لذلك كانوا من أخطر المجرمين السيكوباتيين ، إذ يقدمون على أشد الأفعال قسوة ووحشية ، فيتميزون عن غيرهم بإرتكاب الجرائم العنيفة ، وفي مقدمتها جرائم القتل ، الإغتصاب و هتك العرض بالقوة ، قطع الطريق .

ج - متقلبو الأهواء : يتميز هؤلاء بعدم الإستقرار النفسي فحالهم دائما في تغير فهم تارة سعداء وتارة مكتئبون ، أحيانا في حالة نشاط ، وأخرى في حالة خمود وخمول ، وهذا التقلب في المزاج والأهواء يجعلهم دائما يثورون على القوانين التي يرونها قيدا ثقيلا على أفعالهم ، فلا يطيقون إحتمالها ، وهذا الشعور بالعجز عن الإحتمال يجعلهم يندفعون في طريق الجريمة وأكثر جرائم هذه الطائفة هي جرائم الدعارة والإدمان على تعاطي المخذرات والتسول والتشرد .

د - سريعو الإنفعال : يتميز أفراد هذه الطائفة من المجرمين السيكوباتيين بأن إنفعالهم يكون أسرع وأعمق من إنفعال الشخص العادي ، فتسهل إثارتهم ويكون رد فعلهم على هذه الإثارة عنيفا غير متناسب معها ، إذ يبالغون في تصور المساس بكرامتهم ويؤولون نوايا غيرهم ، ويسيئون الظن بهم ، ويدفعهم ذلك إلى سلوك سبيل الجريمة .

ثالثا :مدرسة التحليل النفسي : يعتبر عالم النفس الألماني سيجموند فرويد مؤسس علم النفس الحديث وإليه يرجع الفضل في إكتشاف بعض المناطق المجهولة في النفس الإنسانية كمنطقة اللاشعور وقد تمكن فرويد كذلك من إتباع أسلوب التحليل النفسي.

ومن طرق التدليل النفسي التي إبتدعها فرويد ما يعرف بالتداعي الحر فعندما يحاول الفرد التركيز على إضطراب عاطفي تنبت في ذهنه أفكار طارئة ، تبدو عديمة المعنى لأول وهلة ، ولكنها في الحقيقة تمثل بداية حل المشكلة التي يعانيها ، ويتمكن المحلل النفسي بترتيب هذه الأفكار وتفسيرها معرفة مشكلة المريض المستقرة في

»اللاوعي « وهو يطلب من المريض أن يذكر كل ما يدور في فكره مهما كان سطحيا أوتافها أو مخجلا ، بالإضافة إلى طريقة التداعي الحر إهتم فرويد بتفسير الأحلام حيث يعتبرها تعبيرا عن الرغبات والغرائز المكبوتة في اللاوعي ، فهي تبتدي بصورة رمزية لتدل دلالة واضحة على مخاوف المريض ومشاكله المتطورة في عقله الباطني وبمساعدة المحلل يربط المريض بين أحلامه ومشاكله ، وهدف أسلوب التحليل النفسي هو الكشف عن الجانب اللاشعوري [xi].

وإذا كان هدف أنصار التفسيرات البيولوجية للجريمة هو إيجاد بعض العلاقة القائمة بين الجريمة كسلوك إنساني معين وبين أي تكوين عضوي فطري موروث ، فإن هدف أنصار مدرسة التحليل النفسي هو إنكار أهمية عامل الوراثة في تكوين السلوك المحرف بصورة قاطعة ، إن تفسيرهم للجريمة تفسير نفسي ، يقوم على عوامل مكتسبة ، تتكون خلال مراحل تطور الشخصية وبوجه خاص ، مرحلة الطفولة المبكرة ، فهم يؤكدون على هذه المرحلة بالذات ، وجعلها حجر الأساس في توجيه مصير الفرد ، ومستقبل صحته النفسية والعقلية والمقصود بهذا القول أن مختلف الإتجاهات النفسية الأساسية للفرد تتكون خلال هذه الفترة ، ولكنها تندثر بين طيات اللاشعور ، لتصبح في النهاية بواعث كامنة [xii] .

إذا هدف أسلوب التحليل النفسي هو الكشف عن الجانب اللاشعوري في الحياة العقلية ويحوي الذكريات والخواطر الماضية وهو يتميز عن الجانب الشعوري الذي يشمل ملكات العقل التي يشعر بها الفرد ، مثل الذاكرة والإنتباه والتخيل والتصور والإدراك والمعرفة .

ويقسم فرويد الظواهر العقلية من الناحية الوصفية إلى ثلاث جوانب[xiii] :

1) الشعور (العقل الظاهر) 2- ما قبل الشعور (العقل الكامن) 3) – اللاشعور (العقل الباطن) غير أنه قد إقتصر من الناحية العلمية على تقسيم هذه الظواهر في الشعور واللاشعور حيث ألحق ما قبل الشعور بالشعور.

يسند فرويد على هذا التقسيم الثنائي إفتراض وجود قوة خفية من شأنها صد بعض الذكريات والخواطر والنزاعات عن الظهور في منطقة الشعور بقسميه ، وكبح جماحا كلما حاولت الدخول في هذه المنطقة ، إما مراعاة لكونها ضد التقاليد والآداب والعقائد الدينية (كالميول الجنسية الموجهة إلى المحارم من الأهل والأقارب التي استأثرت بالنفس منذ عهد الطفولة) وإما مراعاة لكونها من الأفكار والذكريات التي لا يقوى الشعور على تحمل ما يصحبها من آلام شديدة أو تأثرات مزعجة ، ويطلق فرويد على هذه القوة إسم الكبت .

إذا فالنفس الإنسانية تحتوي على ثلاث جوانب أطلق على كل منها إسما خاصا وهذه الجوانب هي النفس ذات الشهوة و والعقل ، والضمير .

1) – النفس ذات الشهوة : وهي النفس الأمارة بالسوء من النفس البشرية ويطلق عليها فرويد إسم ID وهي كلمة لاتينية معناها(هي) وتشير إلى ضمير الفرد الغائب لغير العاقل .

2)- العقل : وهي الذات الحسية أو العادية التي تختزن الصور والرغبات الحسية السوية التي تنعكس على الذات من ظروف حياتها المختلفة ، وهنا العقل يسعى دائما إلى ترويض الذات على التعبير على ميولها الفطرية وغرائزها بطريقة تنسجم مع القيم الأخلاقية والتقاليد الإجتماعية ، وهنا إذ لم ينجح العقل على إجبار الذات فقد يأخذ أحد الطريقتين : إما تصعيد النشاط الغريزي ويكون عن طريق الرمز وإما تحجيم هذا النشاط الغريزي ووسيلته في ذلك الكبت ، فيستقر هذا النشاط في منطقة اللاشعور

ويطلق عليها فرويد إسم الأنا Theego

3)- الضمير : وهو مجموع العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية للجماعة التي تختزنها الشخصية الإنسانية ، وهي تنتقل إلى الطفل أساسا عن طريق التربية في الصغر ويطلق عليها فرويد إسم الأنا العليا The super- ego.

وهذه الجوانب الثلاثة للنفس البشرية تعبر بدورها عن أوصاف ثلاث هي الشهوة والحس والمعنى .

- وكنتيجة لتعدد جوانب الشخصية الإنسانية (النفس ذات الشهوة – العقل – الضمير) أو بمسميات أخرى (الشهوة والحس والمعنى) ينشب الصراع النفسي داخل الذات بين شهواتها وأحاسيسها ، ومثلها العليا .

- ومن أهم العقد النفسية التي لوحظت لدى الكثير من المجرمين عقدتا الشعور بالظلم والشعور بالنقص .

فالشعور بالظلم يرسخ في إعتقاد الشخص أنه قد ظلم من جانب المجتمع وأن إقدامه على الجريمة ما هو إلا لرد هذا الظلم الذي يعانيه .

أما عقدة الشعور بالنقص ، فإما أن يكون مردها النقص الجثماني أو النقص الإجتماعي الذي يسيطر على الفرد في مواجهة المجموع ، وهنا يحاول الشخص تعويض هذا النقص عن طريق إرتكاب الجريمة التي يحقق من ورائها الظهور والشهرة ، وتتجلى خاصة عقدة الشعور بالنقص في إرتكاب جرائم قتل الشخصيات السياسية والاجتماعية البارزة [xiv] .

وعلى ضوء مدرسة التحليل النفسي فكل سلوك إنساني يهدف إلى تحقيق غرض معين وبالتالي لا بد لكي نحلل الظاهرة الإجرامية البحث في العوامل الدفينة في قرارة النفس ، وفي هذا المعنى يرى فرويد أن السلوك الإجرامي يعتبر إستجابة بديلة أو صورة من صور الإطلاق الرمزي للعقد النفسية المكبوتة ، فالصراع الذي يدور في الجانب اللاشعوري للنفس يؤدي إلى الشعور بالخطيئة الذي يمثل أقوى البواعث على الإجرام ، فهنا الشعور بالخطيئة والقلق الذي يسيطر على الفرد حينئذ يتبعه الرغبة في العقاب حتى يمكن التخلص من هذا الشعور وإعادة التوازن الحقيقي الخير مقابل الشر

فالمجرم يندفع إلى إرتكاب الجريمة حتى يقبض عليه ويطبق عليه العقاب، وقد أولى فرويد إهتمام لدراسة الغريزة الجنسية بإعتبارها أخطر مجموعة من المركبات النفسية المكبوتة في اللاشعور ، وهنا يربط بين الغريزة الجنسية وبين الأمراض العصبية والنفسية التي يمكن أن تصيب الفرد .

1-أنواع الأفراد المختلين نفسيا: ويقسم فرويد الأفراد المختلين نفسيا في صلتهم بالجريمة إلى :

1- الشخص القلق : جرائمه مثل السرقة والإغتصاب

2- الشخص المكتئب : يقدم عادة على الإنتحار .

3- الشخص هوائي المزاج : جرائمه عاطفية كالدعارة وكذلك السكر والتشرد .

4- الشخص الموسوس جرائمه معظما بطريق الإمتناع .

5- الشخص المتخوف : يرتكب جرائم في ظروف إستثنائية .

6- الشخص الطموح جرائمه التعزير بالإناث وإنتحال الصفة الكاذبة والتزوير .

7- الشخص الجنائي : يرتكب التصرفات الخادشة بالحياء العام والجرائم الجنسية .

8- الشخص ضعيف الإرادة : يقوم بالجرائم الجماعية .

9- الشخص المصاب ببرود عاطفي : يرتكب معظم الجرائم لأتفه الأسباب .

10- الشخص المتشكك .

2- تقيم مدرسة التحليل النفسي للظاهرة الإجرامية : لتقييم مدرسة التحليل النفسي للظاهرة الإجرامية لابد من ذكر مزاياها ثم نقدها

أ- المـزايـــا : يؤكد الكثيرون على أن التحليل النفسي للظاهرة الإجرامية ، وأراء فرويد على وجه الخصوص قد أسهمت في إثراء دراسة الجوانب النفسية للإنسان وتأثير التكوين النفسي على وقوع في مهاوي الجريمة ، وللتحليل النفسي – من هذه الزاوية – أهمية لا يجوز إغفالها ، ومما لا شك فيه أن فرويد قد خدم علم النفس التحليل خدمة كبرى بكشفه عن مكنونات النفس البشرية ، وعن كشفه ذلك الجانب المستور الذي أسماه بالا شعور العقل الباطن ، وألحق أن الدراسات النفسية في محملها تؤدي دورا هاما من حيث محاولة بحثها عن دوافع السلوك الإجرامي في الجانب النفساني من شخصية من شخصية الفرد . وهناك العديد من الجرائم التي لا يمكن تفسير إقدام الجاني على إرتكابها إلا في ضوء التحليل النفسي ، بل إن معدل هذه الجرائم قد إضطر في الآونة الأخيرة ، ولعل مرد ذلك أن إنسان العصر الحديث أصبح يعاني نفسانيا – بحكم عوامل وإعتبارات كثيرة ومتنوعة ، أكثر مما كان يعني في مرحلة مضت من مراحل البشرية .

ب- الـنـقـد : الواقع أن الإنتقادات التي توجه إلى هذه المدارس تنصب في المقام الأول على أراء ومقولات فرويد في تحليل السلوك الإنساني عامة ، وسلوك الإجرامي على وجه الخصوص ويمكن إجمال هذه الإنتقادات فيما يلي:

- الوقوف عند التفسير الأحادي للسلوك الإجرامي .

- هيمنة العامل الجنسي في التفسير النفسي للسلوك الإنساني .

- إفتقار آراء ومقولات فرويد للصبغة العلمية وعدم توصلها بطرق البحث المنهجي المعروف في مجال الدراسات الإجرامية .

وعلى الرغم من كل هذا فإن تيار التحليل النفسي في تفسير الظاهرة الإجرامية لدى إنسان العصر الحديث له أهمية كبيرة خاصة والتقدم الحضاري غير المسبوق .

وفي بعض مجالات الحيلة والتحولات الإجتماعية الكبرى وثورة الإتصالات وما أدت إليه من صيرورة العالم قرية كبيرة واحدة وظاهرة الإنفتاح على الآخر وإكتشافه ، والتغيرات الهائلة التي أصابت النظام القيمي للفرد كل هذه العوامل قد إنعكست على الفرد في جانبه النفساني ، وقد كان لهذا الإنعكاس مظهرين : مظهر التفاعل إيجابيا مع هذه الظواهر والتحولات وكان هذا التفاعل بالقبول ، ثم مظهر التفاعل السلبي معها وتمثل في الرفض بكافة أشكاله ، وفي هذا المظهر الأخير على وجه التحديد تأثر الفرد في جانبه النفساني وتجسيد هذا التأثر في سلوكه عموما وفي سلوكه الإجرامي على وجه الخصوص ، وتمثل في ظواهر نفسية عديدة لا شك في توافرها لدى إنسان العصر الحديث – وفي بعض المجتمعات بالذات – كالقلق والمزاج العدواني أو (الميل إلى العنف) والشعور بالتحدي الآخر و الإصطدام معه) ويظهر ذلك في الإجرام السياسي على وجه الخصوص ، وهكذا يمكن دراسة كافة هذه المظاهر النفسية وبحث صلتها بحركة الإجرام عموما وببعض نوعيات الجرائم الخاصة .

الفقرة الثانية: أهم العاهات النفسية وتأثيرها على السلوك المنحرف

سنبين ماهية الأمراض النفسية ثم نبين أهم الأمراض النفسية وفي الأخير نتكلم عن الصلة بين هذه الأمراض والسلوك الإجرامي.

أولا: ماهية العاهات النفسية : المرض النفسي أو الشذوذ النفسي هو ذلك الخلل الذي يصيب القوى النفسية كالغرائز والعواطف ويؤدي إلى إنحراف نشاطها إلى نحو غير طبيعي وبالتالي إرتكاب الجرائم [xv].

والغالب في هذا الشذوذ أنه يجعل شخصية المصاب به غير متلائمة مع القيم أو المعايير الإجتماعية فنجده يستنكر التقاليد التي يقرها المجتمع ويقر الأفعال التي تستنكرها الجماعة [xvi]، ولها السبب فالمرض النفسي هو نوع من الأمراض يصيب الجانب النفسي للإنسان ولكنه لا يؤثر في قواه الذهنية ، وغالبا ما تكون ما تكون أعراضه نفسية وعضوية في نفس الوقت [xvii] .

والمرض النفسي يشكل الجانب الأصعب من الأمراض العقلية ، لان البحث فيه مازال لم يحرز بعد نقد ما يذكر [xviii] .

ثانيا: أهم العاهات النفسية : أهم هذه الأمراض القلق والنورستنيا والإرهاق النفسي .

1- القلق: وهو شعور ينتاب المريض ، فيجعل المخاوف تسيطر عليه ، فيمتنع عن إتخاذ مسلك معين يبدو طبيعيا في نظر الناس ، مثال ذلك الخوف من الجلوس في مكان مغلق ، أو الخوف من ركوب الأوتوبيس ، أو الخوف من الطائرة أو السكن في طابق مرتفع .....إلخ

وقد يترتب على هذا الشعور بالقلق المستمر عجز المريض عن مواجهة ظروف ومتطلبات الحياة ، فيقدم أحيانا على الإنتحار ، وقد يقدم بسبب هذا القلق إلى السرقة لتأمين ما يعينه على الإنفاق ، ويرى الكثير من علماء النفس أن هذا القلق يرجع عادة إلى كبت الغريزة الجنسية .

2- النورستينا : هذا المرض قد يكون تارة عصبي وتارة نفسي ، وتبدو أعراض هذا المرض في شعور بإنحطاط القوى البدنية ، وضعف القدرة على أداء العمل ، وحساسية شديدة للمؤثرات المحيطة بالمرض كالصوت والضوء ، ويسيطر عليه شعور بالإكتئاب والتشاؤم واليأس ، وهذه المشاعر النفسية قد تؤدي إلى أن يرتكب المريض بعض الأفعال الإجرامية ويرجع العالم النفسي فرويد ها المرض إلى الإفراط الجنسي .

3- الإرهاق النفسي : يتميز هذا المرض بشعور المريض بضعف الذاكرة ، وعدم القدرة على إتخاذ قرار حاسم في المشاكل التي تعرض له ، مع الشعور بالوهم والوسوسة ، ويصاحب ذلك شعور عضوي يتمثل في الدوار والصداع و الإضطرابات المعوية وكلها مرجعها إلى المرض النفسي .

وأخطر عوارض هذا المرض هو الوسوسة ، فهي تفرض على المريض إتيان أفعال يعلم ألا ضرورة لها، وإنما إستجابة للوسوسة فحسب ، ومع هذا لا يهدأ باله حتى يأتيها ، وقد يكون من بينها أفعال تعتبر جريمة في نظر القانون .ويرجع هذا المرض في رأي البعض إلى إختلال في إفرازات الغدد الصماء ويرجعه آخرون ومنهم فرويد إلى الإفراط في الشذوذ أو في إشباع الغريزة الجنسية .

ثالثا: صلة العاهات النفسية بالسلوك المنحرف : في معرض بيان العلاقة بين الأمراض النفسية والظاهرة الإجرامية ، يجب إستبعاد فكرة وجود تكوين نفسي إجرامي على نمط وجود تكوين عضوي إجرامي كما يقال سيزار لومبروزو - أستاذ الطب الشرعي والعقلي في الجامعات الايطالية - الرائد في النظريات الفردية، وبحكم امتلاك لومبروزو الروح التأملية فقد ساعده ذلك كثيراً في تفسير ما يدور حوله من

الظواهر وخصوصاً السلوك الاجرامي لدى الأفراد. وقد لاحظ لومبروزو بأنَّ (الجنود الأشرار يتميزون بعدة مميزات جسدية لم تكن موجودة في الجنود الأخيار). وذلك خلال عمله في مجال الطب الشرعي في الجيش الايطالي لبعض الوقت [xix]، فليس هناك أشخاص يقعوا حتما في الجريمة لأن لديهم أمراض نفسية فالجريمة كما هو معروف فكرة إجتماعية بحتة من خلق المشرع وهي بذلك تتغير وفقا للمكان والزمان ومتطلبات الحياة ولكن هذا لا يعني أن التكوين النفسي خالي من أي تأثير على السلوك الإجرامي ، إذ يمكن عن طريق هذا التكوين تفسير السلوك الإنساني إجراميا ، فالسلوك الإنساني ماهو إلا تعبير عن عوامل نفسية معينة تتحكم فيه وتعد بمثابة البواعث الدافعة إليه .

ولقد دلت التجارب العلمية أن هناك صفات وخصائص نفسية معينة يمكن فيها الميل إلى إرتكاب الجرائم ، ولهذا يصبح من توافرت فيه مثل هذه الخصائص مصدر خطر جدي في أن ينقلب مجرما إذا تهيأت له بقية العوامل الأخرى وتظافرت على نحو يدفع فعلا على سلوك سبيل الجريمة .

اما المدرسة فتعد مؤسسة تربوية تمثل البيئة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة وتسمى بالوسط العارض أو العابر ولكن هذه المؤسسة يمكن ان تكون عامل نحو ارتكاب الجريمة متى ما انحرفت عن دورها التربوي والتعليمي كأن تصبح مكان للإهمال وعدم الرعاية الصحية والقسوة الشديدة مما يؤدي إلى إصابة الفرد بالعقد النفسية وبالتالي انصرافه عن الدراسة للانضمام إلى الجماعات المنحرفة[xx].

وبعبارة أخرى فإن الأمراض النفسية لا تفضي بذاتها إلى الإجرام حتما وإنما قد تمكن في هذا التكوين الإستعداد للإجرام ولا يتحول صاحبه إلى مجرم إلا إذا حركته وأثارته العوامل الإجرامية الاخرى [xxi] .

وكذلك بالنسبة للشخصية السيكوباتية فهي لا تؤدي على إرتكاب الجرائم حتما. فبعض الناس يفشلون في مواجهة أزماتهم النفسية بشكل واقعي مباشر إما بسبب نقص في إيمانهم وسوء تربيتهم أو لأن المشكلة تفوق قدرتهم على حلها وإحتمالها أو كانت لا شعورية تكونت خلال طفولته المبكرة أو لم يتعلم في ماضيه أساليب مواجهة المشكلات بشكل ناجح مثل هؤلاء الأشخاص يعانون من حالات إحباط مستمرة وقد يلجأون الى طرق ملتوية وسلبية وخادعة للتخلص من هذا الشعور المؤلم و الموصل بالإحباط ومنها السلوك العدواني و الإنحرافي والجريمة ، هذه الطرق هي ما تعرف في الدراسات النفسية بالحيل الدفاعية أو خافضات القلق وهو حفض مرضى زائف للقلق والتوتر ويؤدي بالفرد الى الوقوع في المزيد من المشكلات ولا يشعر الإنسان عادة بهذه الحيل حيث يلجأ إليها الإنسان بشكل آلي غير مقصود وهي ليست أساليب سرية لمواصلة المشاكل بل إنها لا تستهدف مواصلة الأزمة أو المشكلة أصلا ، ولكنها تستهدف التخلص الكاذب والزائف والمؤقت من التوتر والقلق[xxii] .

وأهم الحيل النفسية الدفاعية التي تمثل سلوكا إنحرافيا :

العدوان، المزاح ، العدوان المرتدي أويذاء النفس ، الإستسلام ، الجمود ، النكوص ، الإسقاط ، التكوين العكسي، التبرير . التعويض المسرف ، أحلام اليقضة ، التقمص

ومن ما سبق يتضح أنه لاتوجد صلة مباشرة بين الأمراض النفسية وإرتكاب الجريمة ، لكن هذه الأمراض مع تضافر عوامل أخرى تؤدي بالضرورة إلى إرتكاب أنواع من الجرائم .

توصل الباحثون في مجال علم النفس وعلاقته بتفسير السلوك الإجرامي إلى الحقائق التالية:

الجريمة هي قبل كل شيء خلاصة التفاعل بين عوامل نفسية عدة، والبحث يجب أن يركز على العوامل النفسية التي قد تكون السبب المباشر للجريمة، حسب أحد علماء النفس الأوائل، الطبيب النفسي سيامانا، الذي كان يعتقد اعتقادا قويا بوجود علاقة وطيدة بين المرض النفسي والإجرام، وطالب بجعل مهمة "تشخيص" المجرمين وعلاجهم من اختصاص الأطباء النفسانيين، وعلماء الأنثروبولوجيا الجنائية.

فالجريمة على هذا الأساس، هي مظهر من مظاهر النشاط النفساني، ونتيجة للتفاعل الداخلي للفرد، لذلك يجب أن ينصب التركيز على معرفة ميكانيزمات التفاعل الداخلي، ومعرفة العوامل النفسية التي تكون لها علاقة مباشرة، أو غير مباشرة بالجريمة.

العوامل والسمات الجسمية الخارجية للفرد لها تأثير مباشر عن الإرادة الإجرامية للفرد.

خلاصة التفاعل النفسي الداخلي هو الذي يحدد طبيعة السلوك(محصلة التفاعل النفسي) الذي يسلكه الفرد.

الجهود يجب أن تنصب، إذن على معرفة ودراسة التكوين النفساني للفرد، حتى نستطيع معرفة ومعالجة الشخص المجرم[xxiii].

في الحقيقة هناك العديد من نتائج دراسات العلاج النفسي المبكرة تؤكد أن المنحرفين بصفة عامة ما هم إلى مرضى أو سيكوباتيين ، وهذا يعني طبقا لمداخل داخل التحليل النفسي أن الشخص الذي يرتكب جريمة أو سلوكا إنحرافي ماهو إلا شخص قلق نفسيا[xxiv].

الخاتمة:

بالنسبة إلى التكوين النفسي فإن الدراسات النفسية لها أهمية كبيرة جدا في تفسير السلوكات الإجرامية وحتى في تفسير السلوكات الإنسانية بصفة عامة .

ويعتبر العالم فرويد عميد مدرسة التحليل النفسي قد وضع الأسس الأساسية للدراسات النفسية حيث عمد على بحث دوافع السلوك الإجرامي في الجانب النفساني من شخصية الفرد، وهناك العديد من الجرائم لا يمكن تفسير إقدام الجاني على إرتكابها إلا في ضوء الدراسات النفسية ،وبذلك إعتبرت العاهات النفسية لها التأثير الكبير في دفع الأشخاص للجرائم خاصة القلق والإرهاق النفسي .

كما أعتبرت الشخصية السيكوباتية من أهم الأشخاص الذين يندفعون دون هوادة لإرتكاب الجرائم بمختلف أنواعها

وقد دلت التجارب العلمية على أن هناك صفات نفسية معينة تمكن الشخص على الميل إلى ارتكاب الجرائم ، ومن هنا فإن العاهات النفسية لا تفضي بذاتها إلى الإجرام حتما ، وإنما قد تمكن في هذا التكوين إستعداد الشخص للإجرام ولا يتحول صاحبه إلى مجرم إلا ذا حركته وأثارته العوامل الإجرامية الأخرى .

ومن كل ما تقدم لهذا نستنتج أن العاهات العقلية والنفسية لها دور كبير لدفع الأشخاص المرض بها إلى إرتكاب مختلف أنواع الجرائم .

بالرغم مما سبق نجد ان دراسة الأمراض النفسية ظلت قديمة معتمدة على دراسات سابقة ، بالرغم من التأثير الكبير لهذه الأمراض على السلوك المنحرف و على الجريمة ككل لذلك لابد من تطوير الدراسات النفسية السابقة و العمل على الإعتماد ماهو موجود حاليا في الواقع العملي .

المراجـع

i رؤوف عبيد ، **أصول علمي الاجرام والعقاب،** ط 4، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1981 ،ص 19.
ii عبد السلام بنحدو ، **الأسس النفسية للسلوك الإجرامي** انظر: https://www.facebook.com/328602850567715/posts/2479061488855163/ بتاريخ 2020/12/31 على الساعة 15.00
iii سليمان عبد المنعم (2003) ، **علم الإجرام والجزاء** ،منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، 2003 ، ص 202.

v نبيل محمد توفيق السمالوطي (1983) ، **الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي** ، ط 1 ، دار الشروق ، جدة، ص198
vi فوزية عبد الستار (1985) ، **مبادئ علم الإجرام والعقاب** ، ط 5، دار النهضة العربية ، بيروت، ص182.
vii رمسيس بهنام (1970-1971) ، **محاضرات في علم الإجرام - علم طبائع المجرم ، علم الإجتماع الجنائي** - ، ج 2 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 219.
viii فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ، ص 133.
ix محمد صبحي نجم (1988) ، **المدخل إلى علم الإجرام وعلم العقاب،** ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص 21.
x سمير يونس ، (2005-2006) ، ظاهرة العود إلى الإنحراف : دراسة للظروف الأسرية دراسة ميدانية على مستوى مؤسسة إعادة التربية عنابة – مؤسسة إعادة التربية البوني ، مذكرة ماجستير ، قسم علم الإجتماع ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة باجي مختار عنابة ، ص 70 و مايليلها
xi نظير فرج مينا (1993) ، **الموجز في علمي الإجرام و العقاب** ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 68 و مايليها
xii عدنان الدوري ،و أحمد محمد أضبيعة (1998)،**أصول علم الإجرام العلاقة بين الجريمة والسلوك الإجرامي** ، ط2، الثانية، دار العالمية ،مصر، ص ص 194- .195
xiii محمد شلال حبيب ، أصول علم الإجرام المكتبة القانونية، بغداد، ص 96.
xiv سليمان عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 259.
xv إسحاق إبراهيم منصور (1991) ، موجز في علم الإجرام ، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، ص 48.
xvi إسحاق إبراهيم منصور ، المرجع السابق ، ص ص 48-49
xvii فوزية عبد الستار ، المرجع السابق، ص144.
xviii دردوس مكي (2006) ، **الموجز في علم الإجرام** ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص 107
xix أنظر بتاريخ: 2020/12/28 بتاريخ 12.00 https://political-encyclopedia.org/dictionary
xx Ph.Dr .Richard. M. Ryan and Edward .l.Deci :Intrinsic and extrinsic Motivations,contemporary educational psychology,New York ,
xxi علي عبد الله القهوجي و فتوح عبد الله الشاذلي(2003) ، **علم الإجرام والعقاب،** دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، ص 178.
xxii نبيل محمد توفيق السمالوطي، المرجع السابق، ص ص 205- 206.
xxiii خلفة سارة (2017) ، **الجريمة من وجهة نظر التحليل النفسي (سيغموند فرويد-ألفريد أدلر نموذجًا)** ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2،الجزائر، مقال نشر في مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية العدد 36، ص 89 .
أنظر https://jilrc.com بتاريخ 2020./12/27
xxiv زيكيو مصطفى (2013) ، **عوامل السلوك الإجرامي** ، مجلة الحوار الثقافي ، ج2 ، عدد 1 ، مخبر حوار الحضارات و التنوع الحضاري وفلسفة السلم ، جامعة عبد الحميد بن باديس جامعة مستغانم ،